# بين الأصالة والتوهم

ذكرت أن «المسيل» هو السيلان، ومن هنا كانت الميم زائدة، ولما جمع المسيل علي «أمسلة» و «مُسُل» و «مُسْلان» و «مسائل»، علم أنهم توهموا أصالة الميم، وهي زائدة في الحقيقة.

والأمر يتجاوز هذا ذلك ان اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم، وكأنها أصل، وزاد فيها المعربون وذهبوا كل مذهب فكان منها «الـمَسَل» لمسيل الماء أيضاً وكان منها «الـمَسْل» بإسكان السين للقطر. ومن عجب أن جملة هذا في مادة «مَسَلَ» ولم يكن له إشارة في مادة «سَيَل» ومن هذا أيضاً أن «مدينة» قد جمعت علي مدائن، ولم يلتفت إلي أصالة الياء بل حسبت مثل ياء «فعيلة» زائدة فجمعت علي ذلك فكانت «مدائن». وقد جعلها اللغويون أصلاً في المعجم القديم «م د ن». والحقيقة التاريخية تشير إلي أنها «د ي ن»، غير أن مادّة «د ي ن» في المعجم القديم قد خلت مما يشير إلي «المدينة». إن المدينة تشير في صوغها إلي أنّها من «الدين» أي الحساب ومن هنا انصرفت إلي معاني التمدن والتحضر. أن «يوم الدين» في الأدب الإسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم.

وهذا المعني هو نفسه في الأصول السامية، فبيت الدين هو هذا المعني في اللغة الآرامية، ومن هنا سميت كنيسة «بيت الدين»، وهي من حواضر لبنان. وبيت الدين في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم أي المحكمة.

فمن حقنا أن نضع الأصلين في المعجم التاريخي، ويشار في مادة «د ي ن» إلي مادة «م د ن». وقد فطن الأزهريّ إلي شيء من هذا في جموع «مسيل» التي تقدمت فقال: وهذه الجموع علي توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة، قال ساعدة بن جؤية: يصف النحل.

منها جوارس للسراة وتختوي[١٨] كَرَبَـات أَمْسِلَـةٍ إذا تَتَصَـوَّبُ

ولكن الأزهري حين أتي بالشاهد أراد أن يثبت معني «أمسلة» فيه فقال: و«الأمسلة» جمع «المسيل»، وهو الجريد الرطب، وجمعه «المُسُل».

(١٨) تختوي أي تأكل.

وقال: «سمعت أعرابياً من بني سعد نشأ بالإحساء، يقول لجريد النخل الرطب: «المسل»، والواحد «مسيل»[١٩].

ومن هذا أيضاً قولهم «ماء معين» أي صاف عذب نمير، وقد حسب «المعين» قال تعالي: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ ٤٥ سورة الصافات. وقوله تعالي: ﴿قل أفرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء من معين﴾ ٤٠ سورة الملك.

وقد ورد «المعين» في مادة «عين» في المعجم القديم، وروده هنا يشير إلي أصله وهو «عين الماء». كما ورد في مادة «معن»، ومن دلالات «المَعْن» الاستقاء[٢٠]. إلا إنّ «معن» دلت علي مواد كثيرة ابتعدت عن الماء والاستقاء فصارت مادة قائمة وحدها، لا صلة لها بـ«عين». ومن ذلك «المعان» بمعني المكان أو المنزل، و«الماعون» بمعني الطاعة والزكاة وأسقاط البيت.

ومن هذا أيضاً «المكان» الذي جمع علي أمكنة، وقد سبق الكلام عليه.

ولكني أضيف هنا إلي أنّ شهرة «المكان» وسيرورة استعماله جعلا منه أصلاً. أقول: «أصل» لأنهم أخذوا منه الفعل «م ك ن» الدال علي القدرة، و«التمكن» الثبوت في المكان والاستقرار فيه ثم اتُّسِعَ فيه إلي القدرة مطلقاً. و«المكين»: هو القادر المتمكن ذو المكان[٢١] وكأنهم حسبوه علي «فعيل» ولم يلمحوا إلي أنه من «ك و ن».

**خاتمة:**

وبعد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشققت فيها الكلام علي الأصول وماعرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتي انتهت إلي ما انتهت إليه. وكأني أدرك أن المعرب القديم تجاوز فيما دعي بـ «التوهم» مسألة الصواب والخطأ.

ومن عجب أنه صوّب مسائل ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها إلي الخطإ. ويحسن بي في هذا الصدد أن أفيد من سماحة لغة الذكر وشجاعتها فأورد منها: الأول: وهو مفيد كل

---

(١٩) لسان العرب («مسل») أقول: لم يرد شيء من هذا في مادة «سيَل».

(٢٠) قيل فيه: ماء معين أي معيون ووزنه «مفعول» وحسبت الميم أصلاً فقيل: وزنه «فعيل».

(٢١) قال تعالي: ﴿انك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ٥٤ سورة يوسف.
﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ ٢١ سورة المرسلات.
﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ ١٣ سورة المؤمنون.

الفائدة من الناحية اللغوية التاريخية، قال تعالي: ﴿إن السموات والأرض كانتا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا..﴾ ٣٠ سورة الأنبياء. فعوملت «السموات» و«الأرض» مثّني فقال: «كانتا» ثم «ففتقناهما». فلينظر أصحابنا الذين لاعلم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ: ألا تري كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الإخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنهما مثني.

والثاني: مجيء مُفْعِلة مجموعة علي «مَفَاعِل» كما في قوله تعالي: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾(٢٢). أقول: و«المراضع» في سياق الآية تشير بوضوح إلي أنها جمع «مرضعة» وهي أدل من أن تكون جمع «مرضع»، وإن كان هذا لايمتنع. ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به علي قوة جمع «مصائب» التي تقدم الكلام عليها. الثالث: وهو قوله تعالي: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾(٢٣).

وفي هذه الآية اجتمعت التثنية والجمع، فالمتحدث عنه مثنّـــي، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في «قالتا»، ولكن المحمول عليها من الوصف الذي جاء حالاً من الضمير في «أتينا» كانا جمعا مذكرا سالما وكأن السماء والأرض حين نسب اليهما ما هو خاص بالآدميين، وهو القول، صوّغ ذلك أن يجيء لهما ما جاء في الآية في قوله تعالي: ﴿أتينا طائعين﴾، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة.

أقول: لو كان لي أن أتوسع قليلاً لتجاوز مني هذا الموجز الصفحات الكثيرة، وفي الذي أوردته بعض ما أرمي إليه.

وهذه طائفة أخري من الجموع مما جاء في العربية علي «أَفَاعيل» و«فَعَالِيل» و«تَفَاعيل»، وقد يجيء علي «فَعَالِلْ» وأبنية أخري.

وقد بدا لي أن أعرض لهذه الطائفة من الجموع لخصوصية فيها، ذلك أن الجموع قد اهتدي إليها المعرّبون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها. إنهم بنوا الجموع علي مصادر موادها كما نري، وسأدرج هذه الطائفة من الجموع علي حسب حروف المعجم، ودونك ماوصل اليه استقرائي.

---

(٢٢) سورة القصص.
(٢٣) ١١ سورة فصلت.

## ١- أبابيل

«أبابيل» وهي الجماعة في تفرقة ولم ترد هذه في العربية سوي في قوله تعالي: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾[٢٤].

قال القدامي من علماء اللغة وأصحاب «غريب» القرآن: إنها جمع لاواحد له بمنزلة «عباديد» و«شماطيط» و«شعاليل».

غير أن نفراً من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفردا، وكأنهم تخيّلوه وهو بحسب تصورهم: «إبِّيل» و«إبِّوْل» وقالوا أيضا «إبَّالَة»، ولم يرد أيّ من هذه المفردات في نصوص العربية[٢٥].

## ٢- أساطير

«الأساطير» معناها ما سطره الأولون، وواحد الأساطير أسورة مثل أحدوثة وجمعها أحاديث أقول: وردت «الأساطير» في آيات عدة بقوله تعالي: ﴿أساطير الأولين﴾ والكلمة جمع، ولم يسبقها المفرد في الاستعمال بدلالة ما قيل في المفرد، فقد ورد في كتب اللغة: واحدة الأساطير إسطار وإسطارة وأُسْطير وأُسْطيرَة وأُسْطور وأسطورة.

وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَار، وأسطار جمع سَطْر فكأن «أساطير» علي رأي هؤلاء جمع الجمع.

---

(٢٤) ٣ سورة الفيل.

(٢٥) قلت: ان المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء، ولم يرد كذلك هذا الجمع إلا في الآية الكريمة التي ذكرناها. وعلي هذا يصح لي أن أجتهد فأذهب إلي سبق بناء الجمع وارتجاله في العربية.

ومثل هذا أبنية مجموعة أخري. وقد يكون لي أن أثبت أن العوام في الألسن الدارجة قد كان لهم شئ من هذا فالعراقيون ولدوا جمعاً هو «تفاليس» لمجموعة من «الافلاس» التي تتهيأ لأحدهم في «جيبه» زو محفظة نقوده فيقولون مثلاً: «لم يبق عندي سوي تفاليس» وهي «الافلاس» من النحاس. وليس من شك أن المفرد غير موجود في درجهم ولكنهم تصوروا الجمع وأفادوه من كلمة «فلس». وليس لنا أن نقول: ان المفرد «تفليس» بحسب القياس، ذلك أن هذا غير موجود يدرجون فيه من كلامهم. ومن هذا أيضاً استعمال عامةالعراقيين جمعاً آخر هو «تناتيف»، ويريدون منه الدقيق من قطع الأشياء المتفرقة التي يضمها المتكلم بعضها إلي بعض مع تفرقتها. أو كان أحدهم يأتي بأجزاء صغيرة تتصل بهذا الشئ أو ذاك وليس لهذه «التناتيف» مفرد هو مثلاً «تنتوف» أو «تنتوفة» أو «تنتيفة» بحسب القياس.

وسأذيل هذه الطائفة من الجمع بما ولَده العراقيون من العامة من هذا ولم يكن له مفرد.

وقال ابو عبيدة:: «سطر ويجمع علي أَسْطُر ثم جمع علي أساطير».

أقول أيضاً: وهي لاتخرج في الدلالة عما يسطر من كتابات وهي في قوله تعالي تحتمل النبز أي أن كتابات الأولين لاتعني شيئاً ذا قيمة.

وقد وردت في الجمع وهو المراد المقصود ولم يستعمل المفرد لهذا المعني في النبز، ومن أجل ذلك أعمل اللغويون نظرهم فوضعوه في عدة أبنية ذلك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذلك أبنية عدة في المفرد وأما ما يذهب إليه المعاصرون من فهم للأسطورة فلم يكن في نصوصنا الأدبية التاريخية شئ يومئ إلي شبه يسير بما يعرف عن «الأساطير» لدي الاغريق والرّومان وشعوب الشرق القديم. و«الأساطير» في فهم المعاصرين واستعمالهم جمع مرتجل لا واحد له ولكنهم قالوا: «أسطورة» وحملوها ما لها في اللغات الأجنبية "Fable" أو"Mythe" وحقيقة الأسطورة في العربية أنها تدل علي غير ماتدل عليه في اللغات الأجنبية: إنها مجموعة أسطر أو كتابة شئ مسطور. وهي مأخوذة من الجمع «أساطير» قياساً علي نظائرها الأضاحيك والألاعيب والأهاجي جمع أضحوكة وألعوبة وأهجية.

**٣- أشائـب**

و«الأشائب» هي الاخلاط، وهُرِعَ أهل «المعرب» الي القول إنها فارسية وان أصلها أشوب.

أقول: وأصحاب المعجمات جعلوها أصلا وهو «أَشَبَ» و «أَشِبَ الشيء» خلطه «والأُشابة» من الناس الاخلاط قال النابغة:

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت  كتائـب من غَسَـانَ غيـر أَشَائـب

أقول أيضا: ومن حق صاحب المعجم التاريخي أن ينظر في الأصولَ المتشابهة ويصل العلاقات بينها، إذ لابد لكل منها أن يتصل بصاحبه وأن هذه نسيج واحد يتصل سداه بلُحْمته.

إن مادة «أشب» لابد أن تكون مع مادة «شوب» شيئاً واحداً، فالشوبُ هو الخلط. وكل ما جاء في «الشوب» من دلالات كالعسل وغيره مثلاً كان معني «الخلط» حاضراً فيه.

و«الشائبة» وجمعها «شوائب» هي الأقذار والأدناس تومىء بوضوح إلي «الخلط» ومن هنا كان بين المهموز «أشب» والأجوف «شوب» علاقة الشيء إلي نفسه. أو قل: إن «شوب» هو الأصل قد ذُهِبَ به إلي المهموز ومن هذا الكثير في العربية ومنه «شور» ومنه «أشار» نجده واضحاً في «أَشَرَ».

ومن المفيد أن يشير صاحب المعجم التاريخي، وحقه ذلك، إلي مادة «شيب». إن دلالة

«الشيب» معروفة في العربية، وهو ابيضاض شعر الإنسان، ومنه الأشيب للرجل، ولا يقال للمرأة «شيباء».

والأساس هو اختلاط البياض بالسواد، وَخُصَّ بشعر الانسان. وكأن فكرة الخلط حين اكتسبت هذه «الخصوصية» اتسعت في العربية فأفادت من الواو والياء، فانصرف «شاب يشوب» إلي مطلق الخلط، وانصرف «شاب يشيب» إلي الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد. وهذا معروف في العربية وله نظائر، ألا تري أنّ «البَوْن» هو المسافة وأنّ «البين» هو البعد والفراق، وليس هذا وذاك بعيداً عن كلمة «بين» الظرف المكاني ثم الزماني. ومثل هذا «الطَّيْر» ودلالته معروفة، و«الطور» ودلالته علي التقلب منصرفا إلي مصدر أُميت فعله هو «طاريطور».

## ٤- أظافير:

و«الأظافير» جماعة الأظفار.

وقالوا: الظُّفْر وجمعه أظفار وأُظْفور[٢٦] وأظافير.

(٢٦) أقول: إذا كان «الأظفور» بضم الهمزة يدل علي الجمع مع أنه قد يدل علي «الظُّفْر» فهو في هذا لايدخل في باب اسم الجمع، وهذا قليل.
ومن المفيد أن أشير إلي أن بناء «أفعول» بفتح الهمزة من أسماء الجمع وهو كثير في اليمن، قال الأستاذ القاضي اسماعيل بن علي الأكوع في مبحث له مفيد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد ٦١ مج٢) في «الأفعول» وما جاء علي وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن.
«وكان لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني المتوفي في حدود منتصف المئة الرابعة للهجرة هو أول من تنبّه إلي هذا الأمر فقد ورد في كتابه «الاكليل» ما لفظه: وكثير من قبائل حمير تأتي علي «الأفعول» (الاكليل) ٤٩٩/٢ وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «وإنما هذا اسم كأنّه جماع قبيلته (الاكليل ١٢٤/١). وقد سار القاضي اسماعيل بن علي الأكوع علي هذا النهج فاستوفي في مبحثه الذي أشرنا إليه ماجاء علي «أفعول» من أسماء الإعلام والقبائل والبلدان. وأشار إلي أن هذا الوزن موجود في الحبشة، وقال: «وأغلب ظني أنه انتقل إليها من المؤثرات الثقافية في اليمن. وأشار إلي ما ذكره: «ديتلف نيلسن» في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص٣١.
وأشار إلي قول الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه «بين الحبشة والعرب» ص١٠٣، ٣٠٤ الذي ذهب فيه الي أن هذا الوزن حبشي ثم عرفه أهل اليمن.
قال القاضي الأكوع: «ولو أن الدكتور عابدين اطلع علي كتاب «الاكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني لغير رأيه ثمّ قال: وقد تبين أن ما جاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل قولهم: في الأحباش «الأحبوش» (كتاب الاشتقاق لابن دريد ١٩٣) وفي العبيد جمع عبد «الأعبود» فهو صيغة جمع، وما جاء مضموم الهمزة مثل الأُصبوع والأُظْفور لغة في الأُصبع والظُّفْر، والأُسروع

وهو الأظفور، وعلي هذا قولهم أظافير، لاعلي أنه جمع أظفار الذي هو جمع ظُفْر.

أقول: والذي درج عليه المعربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع ظُفْرٍ «أظافر»، فلم يرد في كلامهم ولا في كتابتهم «أظفر» ولا «أظافير». وقد تكون «أظافير»، وهو جمع «ظُفْر» أو «أُظْفُور» علي قول جماعة، غير داخلة فيما أنا فيه، ذلك أنها جمع مفرده معروف، وكنت قدمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدي اليها المعربون في ممارستهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ولم يرد في استعمالهم. ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدّة كما رأينا في «أبابيل» و«أساطير».

وسيقال إذن، لم ذكرت «الأظافير» وهي مخالفة لما اشترطت وذهبت اليه؟

وأنا أرد علي هذا القائل محترزاً بما ذهب إليه أحد الدّارسين المجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامَت حسين الكنتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل علي نوادر الألفاظ وما عرض لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتي تحولت من الثلاثي إلي الرباعي. وفي هذا الكتاب جاء أن «حذافير» أصلها «أظافير» وسيأتي هذا في حذافير.

والكتاب قد طبع وهو بخط اليد علي طريقة «طبع الحجر» في مجلدين في الهند.

### ٥- أظانين

و«الأظانين» علي غير قياس، وهي جمع «ظن» مثل «الظنون» وهي من النوادر، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة، أنشد ابن الأعرابي:

لأصْبحَنْ ظَالِماً حَرْباً رَباعيـة  فاقْعُدْ لها ودَعَنْ عنك «الأظَانِينَا»

---

واحد الاساريع وهو الأغصان الرطبة التي تخرج من شجر العنب، والاسنوم عضات ترعاها الابل فهو في الأغلب صيغة مفرد مثل الأمْلوح والأملود وغيره. ثم مضي القاضي الأكوع يذكر ما ورد علي أفعول بفتح الهمزة من أسماء الجمع مرتبة علي حروف المعجم وكله كلمات يمنية في القبائل والبلدان جاءت علي بناء الجمع.

أقول: والذي ورد في العربية من بناء الجمع هذا ثلاثة ألفاظ ذكرها أهل اللغة وهي: «أُمْعوز» للقطيع من الظباء، «أُحبوش» لجيل الحبش، و«أُرْكوب» للجماعة من الركاب، وهي بضمّ الهمزة ولم يذكروا معها «أسْطور» «وأُظْفور».

وليس لنا أن نعمل فيها النظر والقياس فنذهب إلي أنها جمع «أظنونة» أو نقول: إنها جمع الجمع.

### ٦- بيوتات

و«البيوتات» جمع الجمع، ذلك أن «بيت» يجمع علي «بيوت» وأبيات ثم «بيوتات» علي جمع الجمع. إن جمع الجمع مادة لغوية لاتعني مايراد منها في اللفظ أي الجمع الكثير، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا العام ان «البيوتات» ذهبت إلي عدة قليلة من «البيوت» المشهورة والأسر نحو قولهم : «بيوتات قريش».

ومثل هذا قالوا: «رجالات» للجمع القليل من الزعماء والرؤوس كقولهم «رجالات العرب». إن جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد الخصوصية المتمثلة في القلة.

وقد استفيد من «جمع الجمع» في الشؤون الفنية فتحول إلي مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا، ومنها:

«الدفوعات» لمجموع ما يدفع في المصارف والبنوك.

و«القبوضات» لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حرفائها.

و«الحسومات» لمجموع ما يُحْسَمُ من الفوائد المصرفية.

ومن مصطلحات الصوفية «الفيوضات» و«الإشراقات» و«التجلّيات» وغيرها.

### ٧- تعاشيب

و«التعاشيب» : ضروب من النبت، لا واحد له. والعشب: النبذ المتفرق. أقول: هذا مما جري في لغة الأقدمين، ولم يكن بهم حاجة إلي كلمة منه تكون مفرداً.

### ٨- تفاريق

و«التفاريق» في قول ابن الإعرابي: إنّ العصا تُكْسَر فيتخذ منها ساجور، فاذا كُسِرَ الساجور اتُّخِذَت منه الأوتاد فإذا كسر الوتد اتُّخِذَت منه التوادي تُصرُّ به الأخلاف. كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه «تفاريق العصا» وهو يعني أن «التفاريق» مفيدة لصاحبها جاء في الرجز:

أَشْهَدُ بالمَرْوَةَ يوماً والصَّفَا  أَنَّك خَيْرٌ من «تفاريق العصَا»

والرجز لغَنية الأعرابيّة، وقيل لامرأة قالته في ولدها، وكان سديد العَرامة مع ضَعْف أسْرٍ ودِقّة. أقول: ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفردا للتفاريق وأنك لو قلت «تفريق» بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع «تفاريق» في سلوك الأقدمين كما يشير أدبهم.

**٩- تلابيب**

و«التلابيب» بصيغة الجمع في لغة المعاصرين، وأنت تقرأ في أدبهم: «وأمسك بتلابيبه»، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ «التلابيب» هو أطراف الثوب.

وهذا هو دأب المعاصرين أنهم كثيراً ما يستعملون الكلمة فيعطونها شيئاً من معناها أو مايقرب منه فيحدث في دلالتها مايمكن أن أدعوه «تطوّر إلي الخطأ».

أقول إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لاجمع، ودونك ما جاء من ذلك: قالوا: وتَلَبُّبُ المرأة بمنطقتها هو أن تضع أحد طرفيها علي منكبها الأيسر وتخرجة وسطها من تحت يدها اليمني، فتغطي به صدرها، وترد الطرف الآخر علي منكبها الأيسر.

وقالوا أيضاً: و«التلبيب» من الإنسان هو ما في موضع اللَّبَبُ من ثيابه، وتلبّب الرجل، تحزم وتشمّر و«اللَّبَبُ» كاللَّبَّة وهو وسط الصدر والـنَّحْر. و«لَبَّبَ الرجلَ» جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قَبَضَهُ وَجَرَّهُ، وأخذ بتلبيبه كذلك.

أقول: بعد هذا التوسع نصل إلي ما جاء في التهذيب للأزهري قال: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان. وفي الحديث: فأخذت بتلبيبه وَجَرَرْتُه.

ومن هنا يتبين أنّ الكلمة استعمل مفردها ولم يرد المعربون القدماء حاجة في الجمع لأنه لايدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح. ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة «مجموعة» إلي المعني الذي بسطناه فجمعوا ما لم يُعْرَف له جمع لانتفاء الحاجة اليه.

**١٠- جراثيـم**

و«الجرثومة» أصل كل شيء، وقيل: ما اجتمع من التراب في أصول الشجر. واستعملت علي التوسع فقالوا: فلان طابت أرومته وعزّت جرثومته.

ولم تكن بهم حاجة إلي جمعه علي جراثيم وإنْ كان هو القياس.

وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه الذي أشرنا إليه وهو «فقه اللسان»: «جراثيم» أصلها «سراشيم» جمع «سرش»، وهو عبراني بمعني الأصل، وقريب منه «ضرس» في العربية، جمعوا «سرش» علي قاعدةالعبرانية، ثم أخذه العرب بإبدال السين جيما والشين ثاء، وجمع علي الطريقة العبرية «الياء والميم»، وحسِب جمعا للجرثومة، ولكونها علي صيغة منتهي الجموع وضعوا لها مفردا.

انتهي كلام السيد المولوي.

أقول: والذي في السريانية والآرامية هو «شرش» للجذر من النبات والشجر، ومازالت العامية الشامية تعرف هذه الكلمة وكأن أهل الشام أدخلوها في عربيتهم الدارجة فجمعوها علي «شروش» نظير «جذر وجذور» وقد عرفتها الفصيحة المعاصرة في سورية ولبنان.

أقول أيضاً: وقد صرَّفَ المعاصرون الجراثيم إلي مصطلح علمي يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولّد الأمراض والآفات، وكأنها تعني ما يعنيه لفظ «مكروب».

## ١١- حذافير

و«حذافير» الشيء: أعاليه ونواحيه.

قالوا: فإذا نحن بالحي قد جاؤوا «بحذافيرهم» أي جميعهم.

أقول: وقالوا: المفرد «حذفور» أو «حذفار».

وقولهم: إن المفرد إمّا هذا وإمّا الآخر يوميء إلي أنّهم ولدوا هذا المفرد وليس له وجود في كلامهم، ولم نقف فيما بين أيدينا من نصوص علي «الحذفور» أو «الحذفار»، فهو شيء مما ولدوه من الجمع الذي فشا استعماله في كلامهم وأدبهم.

أقول أيضاً: إن الحذافير تعني في استعمال المعاصرين الأشياء الصغيرة والدقيقة التي تدخل مع الأجزاء الكبيرة في شيء واحد.

وكنت قد أشرت في «أظافير» إلي رأي المولوي الكنتوري الذي ذهب فيه إلي أنّ «حذافير» أصلها «أظافير» بعد إبدال الحاء من الهمزة.

أقول أيضاً: وقد يرد «حذاريف» علي القلب في كلام الناس وهي ليست من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج.

## ١٢- حزاقيـل

و«الحزاقيل»: خشارة الناس، لا واحد لها.

## ١٣- خراطيـن

و«الخراطين» كما في لسان العرب (خرطن): ديدان طوال تكون في طين الأنهار.

قال الأزهري: لا أحسبها عربية محضة، وربما كان أصل الكلمة أنهم رأوا ذلك الدود يدب في البقاع الرطبة، ووجدوا من خير مميزاته أنه يخرأ الطين، فكأنهم قالوا: دود خرأ الطين، ثم بكثرة الاستعمال صار دود «خراطين» وبعد كونه كلاماً واقعاً صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم مقامه الوصف. ولمشابهة وزنه صيغة منتهي الجموع، حسبوه لفظاً واحداً جمعاً. ولغرابة نشأة الكلمة، ولعدم الحاجة الي ذكر واحد معين من تلك الديدان إن ما وضعوا له مفردا.

أقول: وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتجلت دون أن يكون لها مفرد.

قال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري في «فقه اللسان»: «خراطيم» مأخوذ من «خراطين» لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة بـ «الخراطين» وحسبوه جمعاً لوجود الوزن. ولشدة الضرورة إلي استعماله مفرداً وهو (خُرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للفيل أطلقوه علي السيّد الشريف المقدّم علي القوم، وعلي الخمر السريعة الإسكار، وأول ما يجري من العنب قبل أن يداس.

أقول: ومنه صاروا الي الفعل «اخرنطم» وما اكتسب من دلالة تومىء إلي خرطوم الفيل.

## ١٤- خلابيـس

و«خلابيس»: الابل تَرْوَي فتذهب ذهابا شديدا فتُعنّي راعيها، يقال: أكفيكَ الإبل وخلابيسها.

وقالوا: «الخلابيس» بمعني الكذب، والواحد «خِلبيس»، وقيل: لا واحد لها. أقول: ويتجه الظن إلي افتعال «خِلبيس».

## ١٥- خناطيـل

و«الخناطيل» صفة لـ «إبل» خناطيل أي متفرقة، وكأنهم ولدوا منه «خُنْطُولة» مفردا

ولكنها من صنع القياس علي النظائر.أقول: لقد قالوا في أحاديث أنها جمع أُحدوثة ولكننا نجد الشائع الكثير أنّها جمع حديث، ومنه «الحديث الشريف» الذي جمع علي أحاديث. وكأن الأحدوثة علي صلتها بالجمع بقيت معزولة في استعمالها الخاص وهي من غير شك صُنِعَت قياسا علي نظائرها.

أقول: لم نقف علي خنطولة في أدب الإبل، ولكن الخناطيل معروفة لدلالاتها علي صفة في الإبل هي التفرق.

**١٦- سمادير**

و«السمادير» هو الشيء الذي يتراءي للإنسان من الشراب عند السكر وهو ضعف البصر، ومنه «اسْمَدَرّ بصره» أي ضعف.

قال أدي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»[٢٧]: إنه تعريب «شمادير».

أقول: ولما كانت الكلمة علي صيغة الجمع حسبوها جمعا وهي في الأصل مفرد، وقد روعي اللفظ فيها وسنجد شيئاً من هذا.

**١٧- شعاريـر:**[٢٨]

انظر «شعاليل».

**١٨- شعاليـل**

و«الشعاليل» في قولهم: ذهب القوم «شعاليل» مثل «شعارير».

وقالوا: لا واحد لها[٢٩].

أقول: وقد جاد «شُعْلُول» للفرقة من الناس، ولم يشيروا إلي أنه مفرد شعاليل.

**١٩- شماطيط**

و«الشماطيط» في قولهم: جاءت الخيل «شماطيط» و«شماليل» أي متفرقة، وقالوا:

---

(٢٧) الألفاظ الفارسية المعربة ط. الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٨م.

(٢٨) قالوا فيها أيضا: انها جمع «شعرور» وهذه نبز لكلمة شاعر.

(٢٩) انظر ابابيل.

لاواحد لها مثل أبابيل وعبابيد. وقيل: شمْطَاط وشمطوط، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره.

### ٢٠- ضغابيس

و«الضغابيس» للقثّاء الصغار وقيل: أصول الثمام.

أقول: وليس «الضُّغْبوس» مفردا لها، ذلك أن هذا ينصرف إلى الأغصان التي تشبه «العُرْجون». وقالوا: الضغبوس هو الضعيف.

### ٢١- طحارير طخارير:

وكأنهما علي الإبدال وهما بمعني لقطع السحاب المتفرقة. وقالوا واحدها طحرورة.

أقول: لم أقف علي هذا الواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر.

### ٢٢- عبابيد

و«العبابيد» هي الآكام، وهي الأشياء المتفرقة والبعيدة[٣٠] وقالوا لاواحد لها.

### ٢٣- فراديس

من الكلم الذي جاءنا علي صيغة الجمع «فعاليل» وهو من «المعرب» الدخيل، والأصل براديس «من الألفاظ» الفارسية، وقد حسبه العرب جمعاً علي التوهم، فأعملوا فيه نظرهم فصنعوا المفرد فقالوا «فردوس».

### ٢٤- قلاقل

و«القلاقل» جمع لما يُتَوَهَّم مفرده وهو «قَلْقَلة» وليس هو في الاستعمال وقد ورد في البيت المعروف لابي الطيب:

وَقَلقْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا  قَلاقِلَ هَمٌّ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة.

---

(٣٠) انظر أبابيل.

**٢٥- وجاء في التكملة ٨١/١ أن أهل اليمن يسمون الطبل «الجَبَاجِبُ» ولا مفرد له.**

**خاتمة**

هذا ما بدا لي أن أثبته مما وقفت عليه، وهو أيضاً مما يجتزأ به وغيره معروف في العربية وسألحق هذا الموجز بما يجري مجراه في لغة عامة العراقيين مما أرتجل من جمع ليس له مفرد(٣١).

---

(٣١) وسأدرج في هذا الهامش ما هو معروف في عامية أهل العراق مما يرتجل جمعاً وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة:

١- حتاريف: للفضلات الصغيرة من الخبز وغيره وهي تومىء إلي «الحروف»، و«حروف» الخبز معروفة.

٢- حذاريف: النطق الدارج للحذافير.

٣- حرافيش: كلمة للنّبز، يقال «الحرافيش» بمعني الأشقياء.

٤- خباصيص: كلمة تعني الاضطراب والفوضي.

٥- خرابيش: للكتابة الرديئة والخط الردىء.

٦- دعاثير: للأشياء المهملة من متاع البيت ونحوه.

٧- دحاريج: للأشياء علي هيئة كرات صغيرة.

٨- شخابيط: للخطوط أو الكلمات غير ذات معني.

٩- شناشيل: للغرفة المطلة علي الشارع واجهتها أبواب من الخشب، والكلمة فارسية.

١٠- صلابيخ: للحصي الكبار واحدها صلبوخ.

١١- طخاميخ: للقطع الغليظة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذلك.

١٢- لهاميد: للقطع الكبيرة من اللحم ونحوه.

فاتني أن أذكر «جلافيط» لفضلات اللحم، ولعل في هذه المادة كلمات أخري تُستَدْرَكُ علي هذا الموجز.

# الكلم الذي لزم النفي

أقول: وفي العربية من الكلم من الأفعال والأسماء مالم يرد إلا في حيّزِ منفى، وهذا يعني أنها لم ترد في جمل وتراكيب موجبة.

وقد وقفت عليها في استقرائي للمعجمات التي رأيت أن استوفيها لحاجة لي، وكان من هذه «مجمل اللغة» لابن فارس، وقد رأيت أن أجمعها في هذا الموجز فأقول:

١ـ جاء في مادة «الأزل».

الأَزَل: القِدَم، وتقول: هو أَزَليّ.

قال ابن فارس:

«وأري الكلمة ليست بمشهورة، وفيما أحسب أنهم قالوا للقديم «لم يزل»، ثم نُسب إلي هذا فلم يستقم إلا بالاختصار، فقالوا: يَزَليّ، ثم أُبدِلت الياء ألفاً لأنها أخفّ، فقالوا: أَزَليّ. وهو كقولهم في الرَّمْحْ المنسوب إلي ذي يَزَن: أَزَنيّ.

أقول: ومن هنا يكون بحسب قول ابن فارس أن في قولهم «لم يَزَل» يكون الفعل، «يَزَل» أصلاً في «الأَزَل» بمعني القِدَم.

وهذا الفعل قد لزم النفي لإفادة لاستمرار والدوام، وكذا سائر الأفعال وهي:

«ما بَرِحَ» وما «مافتِئ» و«ما انفَكّ».

وأري أن الفعل «مادام» الذي يفيد الاستمرار والدوام من هذه الأفعال أيضاً، وعلي هذا تكون «ما» للنفي، وليس كما قال النحاة: إنها ظرفية مصدريّة.

وقد أوّلوا قولهم: «مادُمتُ حيّا» فذهبوا إلي أن المراد: مدّة دوامي حيّاً.

أقول: قد يقال: أن الفعل «دام» يفيد الدوام، فهل تنفيه «ما»، والجواب: إن «دام» هي فعل غير الفعل التام «دامَ يدومُ». وأن «دام» وقبلها «ما» تركيب يفيد الاستمرار والدوام. وأن «ما» قبل «دام» مثل «مابرح» و «مافتئ»...

٢ـ وجاء الفعل «أَبَه» منفياً في قولهم: «ما أَبَهْتُ له»: أي لم أعلم مكانه، ولا أنستُ به. ولم يرد هذا الفعل إلا ملازماً للنفي لأداء المعني المذكور.

٣ـ وجاء الاسم «بُدّ» في قولهم:

«لابُدَّ من هذا». والمعني: لا محالة. والكلمة لانكاد نظفر دون أن تسبق بأداة نفي.

٤ـ وجاء في مادة «حول» قولهم: «إن هذا حادث لامحالة».

أقول: وهذا يعني: ان حدوثه لابدّ منه. ولم تأت «محالة» إلاّ في سياق النفي هذا.

٥ـ وجاء في مادة (حيص) قوله تعالي: ﴿سواء علينا أجَزِعْنا أم صَبَرنا مالنا من محيص﴾، أي مَحيد. أقول: ولم ترد «محيص» إلاّ في سياق النفي، وقد وردت كذلك في خمس آيات من لغة التنزيل.

٦ـ وجاء في مادة (سجس) قولهم:

«ولا أفعله سجيس الليالي» أي لا أفعله أبَداً.

أقول: وقد ورد هذا في النفي المطلق الذي أستعين عليه بالظرف «أبَداً».

وقد كثر مجيء «ابداً» في حيّز النفي، قال تعالي:

﴿ولن يتَمنّوه أبداً﴾ ١٥ سورة البقرة.

﴿إنّا لن ندخُلهَا أبداً ماداموا فيها﴾ ٢٤ سورة المائدة.

﴿فقل لن تخرُجوا معي أبداً﴾ ٨٣ سورة التوبة.

﴿لا تقمْ فيها أبداً﴾ ١٠٨ سورة التوبة.

﴿ولن تُفلحوا إذاً أبداً﴾ ٢٠ سورة الكف.

﴿وإن تَدعهُم إلي الهدي فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ ٥٧ سورة الكهف.

﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ ٤ سورة النور.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زَكيَ منكم من أحد أبداً﴾ ٢١ سورة النور.

﴿ولا تَنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ ٥٣ سورة الأحزاب.

﴿بل ظَننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلي أهليهم أبداً﴾ ١٢ سورة الفتح.

﴿ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً﴾ ١١ سورة الحشر.

﴿ولا يَتَمنّونه أبداً بما قدّمَت أيديهم﴾ ٧ سورة الجمعة.

٧ـ وجاء في الفعل «عاج يَعيج» قولهم:

«ما عجْتُ بكلامه» : أي لم أكترث له ولم أصدِّقه.

والفعل «عاج يعيج» ، و «العَيْج» بمعني الإقبال علي الشيء. غير أن هذا الفعل لم يرد إلا في حيّز النفي.

٨ـ وجاء في الفعل «عَبأ يعبأ» قولهم:

«وما عبَأتُ به» : إذا لم تبالِه.

وهذا مما لزم النفي.

٩ـ وجاء في الاسم «عَبَقة» قولهم:

«ما بقيَتْ لفلان «عَبَقة» : اي لم يبقَ له من ماله شيء.

١٠ـ وجاء في الاسم «عبكة» قولهم:

«ماذاق عَبَكة ولا لَبَكة» : أي لم يذق شيئاً.

و«العَبَكة» : الكسرة من الخبز، و«اللَّبَكة» : اللقمة من ثريد.

١١ـ وجاء في الاسم «عَدوف» قولهم:

«ماذقتُ عَدوفاً» أو ذَواقاً: أي لم أذق شيئاً.

و«العَدوف» : اليسير.

١٢ـ وجاء في الفعل «كَرَثَ» قولهم:

«لم يكترِثْ فلان لهذا الأمر» : أي لم يهتمَّ.

أقول: إن استعمال هذا الفعل في غير النفي قليل، وكأنه مع الأفعال التي لزمت النفي.

١٣ـ وجاء في الاسم «لَهْسَة» قولهم:

«ومالكَ عندي «لَهْسَة» : أي: ولا قليل، وأصل «اللَّهْس» اللَّطْع كاللَّحْس.

١٤ـ وجاء في الاسم «نوص» قولهم:

«لا مناص من هذا الأمر» : أي لابدّ منه.

أقول: و«المَناص» هو الملجأ، ولكنه لم يرد إلا في حيّز النفي، وجاء قوله تعالي: «ولات حين مناص» .

١٥ـ وجاء في الاسم (نبض) قولهم:

«ما به حَبَض ولا نَبَض» أي ما به حركة.

أقول: ومجيء «الإتباع» وهو «حبض نبض» يأتي لتقوية النفي.

إن النبض مصدر «نَبَض العِرْق» ولكنه سبق بـ «حَبْضه» وهو يفيد الحركة، وقد فتح اللفظان لأجل ما يشبه التركيب.

١٦ـ وجاء في الفعل «نَغَي» قولهم:

«وما نَغَي فلان بحرف» أي ما تكلّم.

أقول: والفعل «نَغَي» والمزيد «ناغَي» يستعمل في الإيجاب، إلا أن ما ذكرناه هو في حيّز النفي.

١٧ـ وجاء في الفعل (هيد) قولهم:

«لا يَهيدنَّكَ هذا الأمر»، أي لا تَكْرثُك.

أقول: وهادَني الشئ يَهيدني اذا كَرَثَني.

وقد يكون لأسلوب النفي إشارات لتقوية النفي، ومن هذه استعمال «شيء» لزيادة النفي كما في قوله تعالي: ﴿وما قدَروا الله حقَّ قَدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شيء﴾.

أقول: قوله تعالي: ﴿من شيء﴾ أريد به أي شيء، فقد جاءت «مِن» مع النكرة لزيادة التنكير، وفي ذلك تقوية للنفي.

وقال تعالي: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حُرمنا من شيء﴾.

وهذا كثير في لغة التنزيل.

**خاتمة:**

هذا موجز وقفت عليه في قراءتي لمواد العربية رأيت أن أجمعه.